

مِفَاتِحُ فَوَاحِدِ السِّوْرِ وَفَاسِقَتِهَا الْمُغَوِّيَةُ

بِقَلْمَنْ
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّزُوفِ مُحَمَّدُ عَثَمَانُ
مُدْرِسُ الْلُّغَويَّاتِ

شغلت فوائح السور أذهان المفكرين وأولى العلم في كل عصر من عصور التاريخ المتعاقبة فقد تناولها بعضهم من الناحية اللغوية - وهو ما يعنينا هنا في المقام الأول - وتناولها آخرون من الناحية الحسابية والرمزيّة، ورأى فيها بعض المتشيّعين وأهل التصوف إيمانهم وطلبهم ، بينما نجد مولى الفن يرجعونها إلى أصول موسيقية ، ووجد فيها المستشرقون والمتعلمون الزاد الوافر لإشباع هوايهم وغوايهم في النجف على كتاب الله وعلى الشريعة الحالمدة التي أني بها سيد البشر محمد بن عبد الله الإنسانية جمعاء .

١٤

فاما أهل العربية^(١) فإنهم اختلفوا في معنى ذلك فقال بعضهم: هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواطنها التي هي لعنة الثانية والعشرين حرفاً بذكره أ ب ت ث ، عن ذكر

(١) تفسير الطبرى المحقق (سورة البقرة : آية ١) ط . دار المعرفة .

بواقي حروفما قال ولذلك رفع «ذلك الكتاب» لأن معنى الكلام: الألف واللام
والميم من الحروف المقطعة: ذلك الكتاب الذي أزوله إليك مجموعاً لاريب فيه
(الآلف حرف هجاء مقصورة فإذا تحرك في همزة وعندئذ أصبح الحروف
لسعة وعشرون) فلين قال قائل: فلن ، ا ب ت ث ، قد صار ، كلاسم
ف حروف الهجاء كا كان د الحمد لله ، اسماء لفاتحة الكتاب .

قبل له : لما كان حازماً أن يقول القائل : ابني في « ط ظ » ، وكان معلوماً
بقوله ذلك لر قاله أنه يريد الخبر عن ابنه أنه في المعرفة المقطعة علم بذلك
أن « ا ب ت ث » ليست لها باسم وإن كانت آثر في الفسکر عن سائرها.
قال : وإنما خوفن بين ذكر حروف المعجم في فواتح السور فذكر ، في
أوائلها مختلفة وذكرها إذا ذكرت ، بأوائلها التي هي « ا ب ت ث » ، مؤلفة
ليفصل بين الخبر عنها إذا أريد - بذكر ما ذكر منها مختلفاً - الدلالة على
الكلام المتصل وإذا أريد - بذكر ما ذكر منها مختلفاً - الدلالة على المعرفة
المقطعة بأعيانها واستثناؤها لإجازة قوله القائل ابني في « ط ظ » ، وما أشبه
ذلك من الخبر عنه أنه من حروف المعجم وأن ذلك من قبله في البيان يقوم
مقام قوله ابني في « ا ب ت ث » برجز بعض الرجاء من في أسد :

لارأيت أمرها في حلٍ وفتك ف كذب واط
أخذت منها بقرون شبط فلم يزل صوبٍ بها ومحطى
حتى علا الرأس دم يخالطى ^{١١}

فزعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها في «أبي جاد» فأقام قوله :

(١) فتك في الكذب مضى فيه واج ، واط الحق جحده ومنه والقرون جمع
قرن وهو الضفة ، وشط جم أشيط وهو الذى استعمل رأسه شيئا ، صاب
يصور إذا انحدر من علو إلى سفل ، والمطر : المدر والجذب .

لما رأيت أمرها في حطى ، مقام خبره عنها أنها في « أبي جاد ، إذ كان من ذلك قوله يدل سامعه على ما يدله عليه قوله لما رأيت أمرها في « أبي جاد » .

(ب) وقال آخرون : هل ابتدئت بذلك أو أهل السور ليفتح لاستئاعه أسماء المشركين - إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن - حتى إذا استمعوا له تل عليهم المؤلف منه :

(ج) وقال بعضهم : المروف التي هي فواتح السور حروف يستفتح الله بها كلامه . فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟ قيل : معنى هذا أنه افتتح به ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ في أخرى بجمل هذا علامة انقطاع ما بينهما ، وذلك في كلام العرب ينشد الرجل صنف الشعر فيقول :

بل وبلدة ما الإنس من آهلها^(١)

ويقول :

لا بل ماهاج أحزاننا وشجوا قد شجا^(٢)

و « بل » ليست من البيت ولا تنهي وذنه ولكنها يقطع بها كلامه واستأنف الآخر .

قال أبو جعفر (هو الإمام الطبرى و سترى في تعليقه على ما سبق من الآراء واستطراده لغيرها نصوصا في البيان و قرة في الجنان ، ولا غرو فهو شيخ المفسرين وإمام المؤرخين) .

١ - وأما الفين قالوا : « ألم » اسم من أسماء القرآن فلقولهم ذلك وجهان :

(١) غير منسوب وكأنه لابن النجم .

(٢) هو العجاج .

أحدما : أن يكونوا أرادوا أن «ألم» ، اسم القرآن كـ الفرقان اسم له .
وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك كان تأويل قوله : «ألم» ذلك الكتاب ، على
معنى القسم كأنه قال : والقرآن هذا الكتاب لا ريب فيه .

والآخر منها : أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التي تعرف
به ، كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها فيفهم
السامع من القائل يقول قرأت اليوم «المص» ، و «ن» ، أي السور التي قرأها
من سور القرآن كـ يفهم عنه إذا قال : لقيت عمرا وزيدا وهما يزهدون وهو
عارفان - من الذي لقى من الناس وإن أشكل معنى ذلك على أمرى . فقال :
وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ونظائر «ألم» ، «أله» ، في القرآن جماعة من
السور ؟ وإنما تكون الأسماء أمارات إذا كانت مبوبة فليست أمارات ^(١) .

قيل : إن الأسماء - وإن كانت قد صارت لاشتراك كثير من الناس في
الواحد منها غير مبوبة إلا بمان آخر معها منضم نسبة المسمى بها لايها
أو نعمته أو صفتة بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالها - فإنها وضعت ابتداء
للتمييز لا شك ، ثم احتاج عند الاشتراك إلى المعانى المفرقة بين المسمى بها
ذلك في أسماء السور . جعل كل اسم - في قول قائل هذه المقالة -
أماراة للمسمى به السور ، فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن
احتاج الخبر عن سورة منها أن يضم إلى اسمها المسمى به من ذلك ما يفرق به
السامع بين الخبر عنها وعن غيرها من نعمت وصفة أو غير ذلك . فيقول
الخبر عن نفسه : إنه تلا سورة البقرة إذا سماها باسمها الذي هو «ألم» ، قرأت
«ألم البقرة» ، وفي آل عمران قرأته ، «ألم آل عمران» ، و «ألم ذلك الكتاب» ،
و «ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم» ، كـ لو أراد الخبر عن رجلين اسم كل

(١) كان الإمام الطبرى رحمة الله تعالى يجيدون الفنون المحمدة وصولاً إلى ما يريد.

وأحد منها عمر و غير أحد هما تيمى والآخر أزدى للازمه أن يقول له أراد
إخبارك عنهم : لقيت عمراً تيمى وعمرًا الأزدى ، إذ كان لا يفرق بينهما
وبين غيرهما من يشاركونه في أسمائهم إلا نسبتهم كذلك ، فـ كذلك ذلك
فقول من تأول الحروف المقاطعة أنها أسماء للسور .

٢ - وأما الذين قالوا : ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله عز وجل وبعضها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى الحرف الآخر فما هم نحوا

بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر:

قلنا لها قفي لنا قالت قاف لا تخسي أنا نسينا الإيجاف
يعنى بقوله : « قالت قاف » ، قالت قد وقفت فدللت بإظهار القاف من
وقفته على مرادها من تمام الكلمة التي هي « وقفت » ، فصرروا قوله « ألم » ،
وما أشبه ذلك إلى نحو هذا المعنى ، فقال بعضهم الآلاف ألف « أنا » ، واللام
لام ، الله ، والميم ميم ، أعلم ، وكل حرف منها وال على كل منه تامة قالوا جمجمة
هذه المحرف المقطعة إذا ظهر مع كل حرف منه تمام حروف الكلمة
« أنا الله أعلم » .

قالوا وكذلك سائر جميع ما في أوائل سور القرآن من ذلك ، فعل هذا المعني وبهذا التأويل قالوا : ومستفيض ظاهر في كلام العرب أن ينقض المتكلم منهم من الكلمة الآخر فإذا كان فيها بقى دلالة على ما حذف منها ويزيد فيها ما ليس منها إذا لم تسكن الوبادة ملبسة معناها على سامعها - كحذفهم في الترخيم من «حارث» الثناء فيقولون يا حارث ومن «مالك» الكاف فمقداره : يا مال و ما أشبه ذلك وكقول راجزه :

(١) حال : دعاء عليه أي مكنته أمه ، دعا ، في اليمت الاول كأنه اراد أن يقول ينقد هذه فرقة ثم عاد يقول ينجد ، رد يا ، في اليمت الثاني أي إذا يمدو هذا العذر .

كأنه أراد أن يقول : إذا ب فعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من ب فعل (أى من الفعل) و قال آخر منهم :

باختیار خیرات ولن شما

پیو وک فشر

وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَ

پریڈ لا ان آن آنہا۔

فأكثف بالناء والفاء في الكلماتين جمعها من سائر حروفها وما أشبه ذلك من الشواهد التي يطول الكتاب باستيعابه، وكاحدثني بعقوب بن إبراهيم قال : حدثني ابن علية عن أبوب وابن هون عن محمد قال : لما مات يزيد بن معاوية قال لى عبدة : إنى لا أرها إلا كانت فتنة فافزع من ضيتك والحق بأهلك قلت فاتأرسني ؟ أحب إلى الله أن تا - قال أبوب وابن هون بهذه تحدث خده الأيمن بإصف الاضطجاع - حتى ترى أمراً أعرفه (محمد هو ابن سيرين) وعبدة هو عبدة بن همرو من كبار التابعين ، وكان ابن سيرين من أدرى الناس عنه وقوله « قال أبوب » (أي أشار) قال أبو جعفر : يعني به « تا » اضطجع فأجزأ بالناء من تضاجع وكا قال الآخر في الزيادة على الكلام على النحو الذي وصفت :

يريد ، الـكـلـكـل ، وكـفـالـاـخـر :

ان شکلی و مان شکلی شتی فالزی الخص و اخفضی تبیضضی (۴۲) فزاد ضادا ولست في الكلمة.

(٢) الحص : البيه من فصب . يقول لها - والشاعر يخاطب امرأته - نحن
مختلفان فالومن ينفك وعيشي في دعوه وخفض يزدك اهن العيش بيهنا ونعمه
اما أنا فالحالة دائني تشقين ونلاؤمي .

قالوا : فـكذاك من تمام حروف «أَلْم»، ونظائرها نظير ما نقص من
الكلام الذي حكيناه عن العرب في أشعارها وكلامها .

٣ . وأما الذين قالوا : كل حرف من «أَلْم»، ونظائرها دال على معان
شيء - نحو الذي ذكرناه عن الربيع بن أنس - فإنهم وجوهوا ذلك إلى مثل
الذى له وجهه إليه من قال : «هو بتاويله أفاله أعلم»، في أن كل حرف
منه بعض حروف كلية تامة استغنى بدلاته على تمامه عن ذكر تمامه . وعلى
هذا التأويل يجحب أن يكون الألف واللام والميم في أماكن الرفع مرفوعا
بعضها ببعض دون قوله «ذلك الكتاب» (أى أن الحروف تمثل كلماتها
وتعرب بإعرابها) ويكون «ذلك الكتاب» خبراً مبتدأ منقطع عن معنه
«أَلْم»، وكذلك «ذلك»، في تأويل قول قائل هذا القول الثاني مرفوع ببعضه
بعض وإن كان مخالفًا معناه معنى قول قائل الأول .

(القول الأول أن كل حرف من حروف «أَلْم»، يمثل كلية .
والقول الثاني يفيد أن حرف من حروف «أَلْم»، يمثل كلمات شئ)

والصواب : في تأويل ذلك عندي أنه كل حرف منه يحوى ما قاله الرابع
وما قاله سائر المفسرين غيره فيه - سوى ما ذكرت من القول عن ذكرت عنه
عن أهل العربية : أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنه حروف مجاء استغنى
به ذكر ما ذكر منه في مفاتيح السور عن ذكر تتمة الشافية والعشرين حرفا
من حروف المعجم بتاويل : «أن هذه الحروف ، ذلك الكتاب » مجموعه
لا ريب فيه - فإنه قول خطأ فاسد ، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة
والتابعين ومن بعدم من الخالفين (الخلافين جمع خالف) تقول : أنا خالفة
وخارفتة أى جئت بعده) من أهل التفسير والتأويل ، فلسفتي دلالة على
خطئه شهادة الحجة عليه بالخطأ مع إبطال قوله الذي حكيناه عنه - إذ
صار إلى البيان عن رفع «ذلك الكتاب» بقوله مرة إنه مرفوع كل واحد
منهما بصاحبها ومرة أخرى أنه مرفوع بالراجح من ذكره في قوله «لا ريب

فيه ، ومرة بقوله : « هدى المتقين » ، وذلك ترك منه لقوله : إن ، ألم ، راءمة ذلك الكتاب ، وخروج من القول الذى أداه فى تأویل ، ألم ذلك الكتاب . وأن تأویل ذلك هذه الحروف ذلك الكتاب (هذا استنكار شديد من أن تسكون ألم ، تدل على جموم حروف المعجم) .

٤ - وأما الذى زعم من النحوين : أن ذلك ظهر « بل » في قول المشد شمرا :

بل . ما هاج أحزانا وشجوا قد هجا

وأنه لا معنى له وإنما هو زيادة فى الكلام معناه الطرح فإنه أخطأ من وجوده شئ :

أحدما : وصف الله تعالى ذكره بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها وغير ما هو في لغة أحد من الأدميين إذ كانت العرب - وإن كانت تفتتح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر - « بل » - فإنه معلوم فيها أنها لم تبتعدى شيئاً من كلامها بـ « ألم » و « أر » و « المص » بمعنى ابتدائهما ذلك بـ « بل » وإذا كان ذلك ليس من ابتدائها - وكان الله جل ثناوه ، إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ويستعملون بينهم من منطقهم في جميع آيه - فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي انتشت بها أوائل سورتى هن لها فواتح سبيل سائر القرآن ، في أنه لم يعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ، ولها بينهم في منطقهم مستعملين لأن ذلك لو كان معدولاً به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم ، كان خارجاً عن معنى الإبارة التي وصف الله عز وجل بها القرآن فقال تعالى ذكره : « نزل به الروح الأمين » على قلبك لتكون من المنذرين « بالسان عربي مبين » (١) .

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٣ - ١٩٥ .

وأن يكون مينا مالا يعقله ولا يفهمه أحد من المخلوقين قوله ؟ وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عرب مبين ما يكذب هذه المقالة ، وبليبي عنه أن العرب كانوا به عاليون وهو لما مستعين بذلك أحد أوجه خطته .

والوجه الثاني : من خطنه في ذلك : إضافة إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواه الخطاب به وترك الخطاب به وذلك إضافة العبث الذي هو في منفي في قول جميع الموحدين عن الله إلى الله تعالى ذكره .

والوجه الثالث : أن ، بل ، ف كلام العرب مفهوم تأويلها و معناها وأنها تدخلها في كلامها رجوعاً عن كلام لها قد تفضي كقولهم : ما جامن أخوك بل أبوك ، وما رأيت عمرأ بل عبد الله وما أشبه ذلك من الكلام كما قال أعني بنى نعلية :

فـكـأنـه قال : دع هـذا وخذـنـي فـقـرـيـضـهـ غـيرـهـ .
بل عـدـهـذا فـقـرـيـضـهـ غـيرـهـ وـاـذـكـرـ فـتـيـ سـمـحـ الـخـلـيـقـهـ أـرـوـعـاـ
بالـجـلـسـانـ ، وـطـيـبـ أـرـدـانـهـ ئـمـ قال :
ويـمضـىـ فـكـلمـتـهـ حقـ بلـغـ قولـهـ :
ولـأـثـرـبـنـ ثـانـيـاـ ثـانـيـاـ وـلـأـثـرـهـ

فـ . بل ، إنما تأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام ، فأما

(١) الجاسان : قبة أو بيت ينثر فيه الورد والريحان لشرب ، طيب أدراراً ، قبة تغطى بماء زمزم وتعزف لهن . الأردان : جمع ردن وهو مقدم كم القميص ، الون : صنبور بضرب بالاصابع يذكر : يرد أصعبه مرة بعد مرة في ضربه بالصنجر .

افتتحا لـكلامها مبتدأ بمعنى التعلول (الزيادة) والمحذف من غير أن يدل على
معنى ذلك ما لا نعلم أحداً ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها ،
الذى ذكرته قوله . فيكون ذلك أصلاً يشبه به حروف المعجم التي هي
فراحة سود القرآن التي افتحت بها - لو كانت له مشبهة - فسكيف وهي من
الشبه به بعيد ؟ .

ثم تعال معى في جولة أخرى مع شيخ المفسرين لنرى ما قاله في
ـ حم ،^(١) من سورة غافر حتى يكتمل إطار الصورة من فواتح السور يقول :
ـ اختلف أهل التأويل في معنى قوله : « حم » ، فقال بعضهم : هو حروف
ـ مقطعة من اسم الله الذى هو الرحمن الرحيم ، وهو الحاء والميم .
ـ ... وقال آخرون : هو قسم أقسامه الله وهو اسم من أسماء الله ...
ـ وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .
ـ وقال آخرون : هو حروف هجاء .

ـ وقال آخرون : بل هو اسم ، واحتجو القولهم ذلك بقول شريح بن
ـ أوف العبسى :

ـ يذكرن حاميم والرمح شاجر فهلا تلا « حم » قبل التقدم^(٢)
ـ وقال الجوهري : أما قول العامة ، الحواميم ، فليس من كلام العرب ،
ـ وقال أبو عبيدة « الحواميم » سور في القرآن على غير قياس وأنشد :
ـ وبالطراسين التي قد ثلت وبالحواميم التي قد سبعت

(١) تفسير الطبرى حيث لم يكتب « الأخوان الشاكران » تحقيق التفسير
ـ ولو أكلاه لعم النفع الخير ، لكنهما إرادة آفة .

(٢) التفسير في « يذكرن » هو محمد بن طلحة وفاته شراح (أى في
ـ يوم الجل) .

وال الأولى أن تجمع بذوات حاميم وكما قال ابن مسعود : «آل حاميم» ،
ديجاج القرآن ، ويقول السكريت .

ووجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها هنا تقي وعرب^(١)
وحدثت عن عمر بن الشنف أنه قال : قال يونس : يعني الجرمي (الجرم)
اسمه صالح بن إسحاق أبو عمر وليس هو يوسف كما ذكر المحدث) ومن قال
هذا القول (بأنها أحجام) فهو منكر عليه ، لأن السور « حم » ، ساكنة
المعروف خرجت منخرج النهجي ، وهذه أسماء سور خرجت متحرّكات ،
ولإذا سميت سورة « بشق » فمن هذه المعروفة الجزءية ، دخله الإعراب والقول
في ذلك نظير القول في آخره .

(ب)

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ما ورد في كتاب موجز البيان في
مباحث القرآن تأليف كمال الدين الطان الصاهري عن رئاسة ديوان الأوقاف
ـ المدارس - الجمودية العراقية جاء في ص ١٢٨ .

قال أبو علي محمد بن المسنن النحوى الشهير بقطرب : كان العرب
ينفرون عند استئصال القرآن فلما نزلت « ألم » ، « كهيم » ، استنكروا هذا
اللفظ ونافت نفوسهم إلى ما يتلوه من الكلام ، وتفهموا ما ضمته من المعانى
والأغراض ، فلما أنسنوا أقبل عليهم النبي بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسمائهم

(١) البيت لـ الكبيرون زيد الأسدى: انظر ديوانه طبعة الموسوعات . آل حاميم :
السور التي أر لها « حم » ، وكذا آل طسم ولا يقال حواميم ولا طواسيم ، آية :
الآية التي يعنيها السكريت هو قوله تعالى في سورة الشورى : « قل لا أأرسلكم عليه
أجرًا إلا المودة في القرى » ، وقد ذات السكريت ذكر أهل البيت في سورة الأحزاب
من غير آل حاميم وهو قوله تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ عَنْكُمُ الْجُنُسُ أَمْ
الْبَيْعُ وَيَطْهُرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

التحق : الساكت عن التفضيل ، المعرب : الناطق به .

وآذانهم ويقيم الحجوة عليهم . فعلى هذا يكون القرآن جاء بهذه الألفاظ ليستدرج العرب استدراجا ، حتى يقبلوا عليه ويستمعوا له ، والمتتبع لأساليب كلام العرب يجد أنهم قد يأتون بالحرف أو الأحرف لا لغرض سوى التنبية ، وأكثر ما يستعمل هذا في خطابية الغافلين والجامعين المعرضين ، ومن هذا استعمال «ها»، التنبية و «ها»، في أيها و «ما»، الزائدة في نحو «فبما رحمة من الله لنت لهم»، فإذا سمع إنسان هذه المخروف ولم يلق لها معنى توجهت نفسه إلى تعرف ما بعدها والله يجدد فيه ما يدخله على ما أربده منها ، ومن هنا ينصرف بهم الجميع قلبه إلى ما ينلواها لعله يهتدى بشيء من هديه ، ولو لا ذلك لأعرض عنه ونأى بجانبه ، ولما كان لشىء من آياته سلطان على قلبه ولا أثر في نفسه .

وفي ص ١٣٩ من نفس الكتاب يقول المؤلف : (ومن الآراء الجديرة بالنظر في ذلك ما جاء في كتاب النثر الفنى في القرن الرابع المجرى ، إذ يشير مؤلفه الدكتور زكي مبارك إلى أن ميزات القرآن «الابتداء» ، بالفاظ غير مفهومة مثل «الم» ، «طسم» ، «الر» ، «ص» ، «دن» ، «دق» ، التي اختلف في تأويلها المفسرون والتي لم يهدى أحد إلى المراد منها بالتحديد ، وهذا النط من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية ثم يضى الدكتور فيقول في كتابه هذا : كنت أتحدث عن فوائط السور مع «السيو» «بانشو» ، فعرض على تأويلاً جديراً بالدرس والتحقيق ، وفي رأيه أن المخروف «الم» ، «الر» ، «طسم» ، هي كالمحروف A.O.I التي توجد في بعض المواطن من : (Chansons Legestit) : (أى علامات للترنيم أو الإنجاد التونسي) فهى ليست إلا (Neumes) : (أى إشارات وبيانات موسيقية يتبعها المرتلون) .

وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يشار إلى أحاجنها بحرف أو حرفين .

أو ثلاثة وكان ذلك كافياً لتجويه المفهوى أو المرتلى إلى الصوت المقصود فـ *الكنائس المسيحية* بأوروبا حيث لا تزال تحفظ تقالييد الغناء الجريجورى : *(الغناء الجريجورى أو الغريغورى نسبة إلى البابا Le chant gregorien الكاثوليكى جريجور أو غريغور الملقب « الكبير » وللبابوية فى روما سنة 604 - 690)، وأم أعماله حارقة تصوير الأنجلوسكسون وترتيب الخدمات الدينية في الكنائس وتنظيم أغانها، ومن هنا نسب هذا النوع من الأغانى إليه « التونسي ».*

وفى آيوبيا مثلاً يوجد اصطلاح موسيقى مشابه لذلك فإن رئيس المرتلين ييهأ الصوت بالحروف التي تقابل « ألم » في القرآن أو (A.O.I) في نشيد رولان (رولان بطل ملحمة فرنسية من ملاحم القرون الوسطى سمي به باسمه).

ويؤيد رأى المسئور « بلانهو » أن « ألم » تنطق هكذا عند القراءة ، « ألف ، لام ميم » ، فهي ليست رمزاً كثناياً ولكنها حروف صوتية ، ومن المحتمل أن تسكون تقالييد القراءة في القرآن سارت في طريق كان معروفاً في الجاهلية ومن الواضح أن القرآن لم يكن من همه أن يخالف الجاهليين من كل شيء حتى في الأصوات الموسيقية .

فليس يستبعد أن تكون فوائح السور إشارات صوتية لتجويه القراءة وأن تكون متابعة لبعض القراءات الجاهلية .

ونحن مع اعتقادنا بقيمة هذا الرأى أن من أسباب ضعفه أن المفسرين لم يعطوه ما يستحق من العناية ، مع تطوعهم لفرض كثير من الفرض ، ولو أنه كان معروفاً في الصدر الأول لما تعرض لأذل هذا الإغفال .

ومن يدرى فعل دراسة أصول الموسيقى في الكنائس الحبشية والشامية في العهد الذي سبق الإسلام – تعود على هذا الرأي بثنيه من التوضيح والتتجديد ، وإلى أن تظهر هذه الدراسة نصف أمام هذا الرأي بين الشك واليقين .

(انتهى كلام الدكتور ذكي مبارك في كتابه *النثر الفنى*) ولكن لم ينته البحث في هذا الموضوع الذى يحتاج إلى دراسة ملخصة حتى يظهر السر في لغاجز هذه الحروف التي هي جزء من إعجاز القرآن ككل) .

ولقد كتب الأستاذ حسن دوح مقالاً في عدد أخبار اليوم الصادر في ١١ أغسطس سنة ١٩٧٩ تحت عنوان : (ما سر هذه الحروف ؟) جاء فيه :

ماذا تعنى هذه الحروف ؟ يقول عل بن أبي طالب : « لكل كتاب صفة وصفوة الله حروف التهجي ». ويقول عنها الخليفة الأول أبو بكر الصديق : « في كل كتاب سر وسر القرآن في أوائل السور » .

وقال البعض : إن هذه الحروف أفرزت للتنبيه إلى أن القرآن ليس مكوناً إلا منها ، وقال بعضهم : إنها سر من أسرار الله لا يعلمه إلا هو .

وأجل تفسير معاصر قرآن عن هذه الحروف ما ذكره *الشيخ محمد شلتوت* قال :

« إن وصف القرآن بما وصف به من أنه هدى وتبیان ونحو ذلك لا يبطله أن تتجهي في أوائل بعض سوره مثل هذه الحروف التي يتعلق بها تسلیف أو إرشاد ، وأنه ما دام واضحآ في جملته وفيما قصد به ، فلا يأس من أن يرد فيه بعض ما استثار الله به عليه تنبیهآ على القدرة الشاملة في جانب الربوبية ، فحكم الله في الكون من أسرار لا يملك العبد أمامها إلا أن يمتهن » .

وهناك ملاحظة جديرة بالتفكير وهي أن معظم هذه الحروف يتبعها
وصف من أوصاف القرآن مثل قوله تعالى :

(ألم يذكّر الكتاب لاريـب فيه) ومثل : (ألم يذكّر كتاب أحكـم آياته)
(طـسْ هـ تلك آيات القرآن وكتاب مـبـين) ، ومع هذا فقد لاحظنا أنه ورد
كتاب القرآن ووصفـه ، ولم تتصدر السـورـ الأـحـرـفـ التي ذـكـرـنـاـهاـ وأـظـهـرـهـ
مـثـلـ ما وـرـدـ فـيـ صـدـرـ سـوـرـةـ الـكـمـفـ والـتـيـ نـقـرـأـهـاـ كـلـ جـمـعـةـ قـالـ تـعـالـىـ فـيـ أـوـلـ
الـسـوـرـةـ :

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) . وكذلك
لم نلاحظ وجود الأـحـرـفـ في أـوـلـ سـوـرـةـ الـفـرـقـانـ يـقـولـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ أـوـلـ
الـسـوـرـةـ :

(تـبـارـكـ الذـيـ نـزـلـ الـفـرـقـانـ عـلـيـ عـبـدـهـ لـيـكـونـ لـلـعـالـمـيـنـ نـذـيرـاـ) .

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام وهي أن هذه الأـحـرـفـ جاءـتـ
فـيـ أـوـلـ السـوـرـ الـمـكـيـةـ ، وـلـمـ يـرـدـ لهاـ ذـكـرـ إـلـاـ فـيـ سـوـرـتـيـنـ مـنـ السـوـرـ الـمـدـنـيـةـ ،
وـتـعـلـيـلـهـمـ هـذـاـ أـنـ السـوـرـ الـمـكـيـةـ كـانـتـ تـقـسـمـ بـالـهـدـةـ ، وـقـرـعـ الـأـذـهـانـ وـالـتـلـيـيـهـ
إـلـىـ خـطـوـرـةـ الـأـمـرـ ، وـمـنـ خـصـائـصـ هـذـهـ الـأـحـرـفـ لـفـتـ النـظـرـ لـأـمـورـ فـيـهاـ
تـحـذـيرـ وـإـنـذـارـ .

أما السـورـ الـمـدـنـيـةـ فـعـظـمـهـاـ بـشـأنـ الـعـبـادـاتـ وـالـتـشـرـيـعـاتـ ، وـنـخـنـ نـهـيـلـ لـلـ
الـأـخـلـقـ بـنـسـفـهـ سـيـدـنـاـ ، أـبـيـ بـكـرـ ، بـعـانـ هـذـهـ الـأـحـرـفـ وـهـيـ أـنـهـ سـرـ مـنـ
أـسـرـارـ اللهـ .

وـأـنـاـ شـخـصـيـاـ كـيـاـتـ أـمـيـلـ إـلـىـ الرـأـيـ القـائلـ بـأـنـ هـذـهـ الـحـرـوفـ إـنـماـ جـيـهـ
بـهـاـ مـنـ أـجـلـ التـحـدىـ ؛ لـأـنـ مـعـظـمـ هـذـهـ الـأـحـرـفـ يـتـلـوـهـاـ وـصـفـ مـنـ أـوصـافـ
الـقـرـآنـ فـكـانـ الـقـرـآنـ يـقـولـ : أـبـهاـ الـعـربـ إـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ مـكـونـ مـنـ هـذـهـ

الحروف المألوفة لديكم ، ومع ذلك فأنتم هاجرون تماماً عن الإيمان حتى
بأنصر سورة منه .

(ج)

(آراء متطرفة وأخرى عقيدة في فوائض السور بالحروف)

لعل من الغموض بمكان قول القائلين بعد هذه الحروف على حساب
«الجلل»، لاستنبط منها مدة بقاء الأمة الإسلامية ، أو لتفويه على كرامة
شخص ، أو شيعة معينة .

فها هو ذا الحموبي : (هو الفقيه المناظر أحمد بن خليل بن سعادة
صاحب الإمام ثغر الدين الرازى توفي سنة ٥٦٣ھ)^(١) . يزوى أن بعض
الأئمة استخرج من قوله تعالى : «ألم ظهرت الروم ، أن بيت المقدس يفتحه
المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسين وسبعين ووقع كال قال»^(٢) .

ويروى المعز بن عبد السلام أن عليهـ رضى الله عنهـ استخرج
واقته مع معاوية من حم عرق ، ورأى بعض الشيعة في مجموعة هذه
الفوائض إذا حذف المكرر ما يفيد أن صراط على حق نمسكه ، فيهـ
عليه بعض السنين الظفراء بخطاب مستنبط من الفوائض نفسها بمحروفيها ذاتها
غير المكررة «صح طريقك مع السنة» ، وهذا النوع من الاستخراج
الحسابي يعرف باسم «عد أبي جاد» .

والصوفية في هذا المجال شطحات النبيـ عن شططهم في هذا المجال ،

(١) انظر : خدرات الذهب ص ٤ - ١٨٣ .

(٢) انظر : الإنقان ص ٢ - ١٦ .

و لا نرى أدل على ذلك من قول الشهيد حبي الدين بن عربي في «الفتوحات المكية»، ما خلاصته :

«اعلم أن مبادئ السور المحمولة لا يعلم حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة
فعلما تبارك وتعالى تسعًا وعشرين سورة ، وهو كمال الصورة : «والقمر
قد ناه منازل» ، والتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك ... الخ» .

وفي دائرة هذا الدرس والغرض قال قوم - لا يستخدمون اصطلاحات
المنصوفين ، ولا يدينون بعد أبي جاد - إن هذه الفوائم حروف مقطعة
كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى : من ذلك قول ابن عباس
في «كبير» ، «الكاف من كريم» ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والمعنون
من عليم ، والصاد من صادق ، ومن ذلك أيضاً أن «طس» تعني «طور»
سيناء ، لأن السورتين اللتين تفتحان بهذه الحروف تقصان خبر صاحب
التوراة عليه السلام في طور سيناء .

وغرير أن نرى مستشرقاً كبيه أكبشبرنجر : *sbrenger* حين لم يشف
غلوبله ما قيل في «طس» ، أن يعكس هذه الصيغة ويرى فيها الأحرف البارزة
الغالبة في قوله تعالى : «لا يمسه إلا المطهرون» ، فالعلاء هي الحرف البارز في
«المطهرون» ، والسين والميم أقرب ما في «يمسه» .

ويذكر المستشرق بلاشير في كتابه : «المدخل إلى دراسة القرآن» ، أن
المستشرق لوثر *Loth* على حذر قد قابع شبرنجر على رأيه العقيم .

لكن أغرب ما في هذا الموضوع أن المستشرق الألماني *Neoldeko*
في رأيه الأول - الذي عدل عنه فيما بعد - من الحكم بأن
أوائل سور دخيلة على نص القرآن : ففي الطبعة الأولى لكتابه عن تاريخ
القرآن بالاشتراك مع شغالي *Schwally* تظهر نظرية لا ترى في أوائل سور

إلا حروفاً أولى ، أو أخيرة مأكولة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت
عندم نسخ من سور قرآنية معينة ، فالسرين من سعد بن أبي وقاص ، والميم
من المغيرة ، والنون من عثمان بن عفان ، والهاء من أبي هريرة .

وهكذا يبدو أن د نولد كه ، شعر بخطأ نظريته فرجع عنها ، وأن شفال
أهملها ، وأغفل ذكرها فيما بعد في الطبعة الثانية .

لكن المستشرقين : بهل : Buhl ، وهرشفيلد Hirschfeld قد تحدما
لها من جديد وتبنياها ، غافلين عن مدى بعدها عن المنطق السليم (١)

وحسينا أن المستشرق بلاشهر في النهاية يظاهر تفاوت هذه النظرية بما
لا يدع مجالا لتأييدها واحتراهما ، فقد أعلن بوضوح بعد أن رجع إلى النظرية
الإسلامية : أن المسلمين الأتقياء الذين كانوا يرون من العبث كل حواره
لاختراق أسرار هذه الفوائح القرآنية ، أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك أنهم
وخدم العقلاء والحكماء ، وقد انضم إلى بلاشهر لوثر : Loth ، وبauer :
Bauer في استبعاد أن يدخل المؤمنون عناصر غير قرآنية في الكتاب المزور
من عند الله ، وصدق الله إذ يقول :

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» .

(١) انظر :

Hirschfeld, New Researches into the Composition and
Exegetics of the Quran Asiatic Monographs, T III : London
1952 P. 142 .

(د)

(اتجاهان جديدان جديران باللحظة والذكر)

الاتجاه الأول :

الأستاذ الكبير عبد الله يوسف في ترجمته للقرآن^(١) إذ يعلق على فوائع سور القرآن بالقطمات فيقول :

There are 2q letters in the arabic alphabet (Counting hamza and alif as two letters) and there are 29 Suras which have abbreviated letters prefixed to them .

One of these Suras (S. XLii) سورة الشورى

has two sets of abbreviated letters but we need not Count this sura twice .

If we take the half of the alphabet Omitting the fraction, we get 14, and is the number of letters which actually Occur in Muqattaat, The 14 letters which occur in Various Combinations are :

ه	ك	ص	ا
ر	ل	ط	ح
م	ع	د	ر
ن	ف	س	س

The science of phonetics tells us that our oral sounds arise from the expulsion of the air from the lungs, and the sounds

are determined by the way in which the breath passes through the various Organs of speech, E. G. the throat (guttural) (or the various positions of the tongue to the middle or front of the palate or to the teeth the play of the lips everyone of these kinds of sounds is represented in these letters .

Let us now examine the Combinations .

(A) three of these letters occur alone prefixed each to only one sura, the letters and suras are :

1 — S. XXXVIII ص — سورة ص (٢٨) ١

2 — S. L. ق — سورة ق (٥٠) ٢

3 — S. LXVIII ن — سورة ن (٦٨) ٣

(B) The Combinations of two letters occur in ten suras as shown below. three of them occur only once each, but the fourth (مـ)

Occurs in seven consecutive suras :

4 — S. XX ط — سورة طه (٢٠) ٤

5 — S. XXVii طس — سورة العنكبوت (٢٧) ٥

6 — S. XXXVi يس — سورة يس (٢٦) ٦

7 — S. XL ح — سورة غافر (٤٠) ٧

8 — S. XLI حم — سورة نحل (٤١) ٨

9 — S. XLii حم — سورة الشورى (٤٢) ٩

10 — S. XLiii حم — سورة الزخرف (٤٣) ١٠

١١ — S. XLii V	م ح	١١ - سورة الدخان (٤٤)
١٢ — S. XLV	ح م	١٢ - سورة الجاثية (٤٥)
١٣ — S. XLVi	ح م	١٣ - سورة الأحقاف (٤٦)

Note that S. XLii has a double Combination of abbreviated letters, one two followed by one of three (see under Combrination of five).

(C) There are three Combinations of three letters each, occuring as follows in 13 suras :

١٤ — S. ii	الْم	١٤ - سورة البقرة (٢)
١٥ — S. iii	الْم	١٥ - سورة آل عمران (٢)
١٦ — S. XXiX	الْم	١٦ - سورة العنكبوت (٢٩)
١٧ — S. XXX	الْم	١٧ - سورة الروم (٣٠)
١٨ — S. X١١ i	الْم	١٨ - سورة لقمان (٣١)
١٩ — S. XXX ii	الْم	١٩ - سورة السجدة (٣٢)
٢٠ — S. X	الر	٢٠ - سورة يوسف (١٠)
٢١ — S. X i	الر	٢١ - سورة هود (١١)
٢٢ — S. X ii	الر	٢٢ - سورة يوسف (١٢)
٢٣ — S. XIv	الر	٢٣ - سورة إبراهيم (١٤)
٢٤ — S. XV	الر	٢٤ - سورة الحجر (١٥)
٢٥ — S. XXVi	طس	٢٥ - سورة الشعرااء (٢٦)
٢٦ — S. XXViii	طس	٢٦ - سورة الفصص (٢٨)

(D) Combinations of four letters Occur twice each only once :

٢٧ - سورة الأعراف (٧) المص

٢٨ - سورة الرعد (١٢) المر

(E) Finally there remain the Combination of five letters each of which occurs once only as follows :

٢٩ - سورة مريم (١٩) كهونص

٣٠ - سورة الشورى (٤٢) حم عسق

In S. XL ii and حم (الشورى) عسق are put in separate verses from that point of view they may be Combined two separate Combinations. the first Combination has already been listed under the group of two - letter Combintion .

This arithmetical analysis brings certain facts in prominence

I do not know how far they hav a bearing on the inner meaning of The Maqtaat .

الاتجاه الثاني :

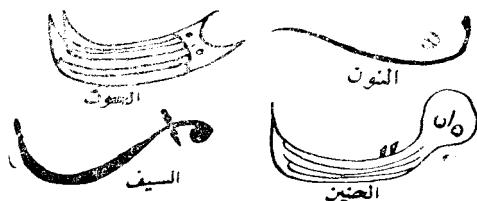
ظهر هذا الاتجاه على يد الأستاذ عبد الحكيم العبد المخاضر بجامعة بيرو - كانوا : نيجيريا ، وقد اقتبسه هذا الأستاذ الفاضل في ما اقتبسه وأنا

(١) في الحقيقة عدد سور الـ ذكرت فيها المقاطعات هو ٢٩ لا ٣٠ ،
وانت هذه الزيادة من ذكر سورة الشورى مرتين : مرة مع الحروف الثنائية ،
ومرة مع المخاضية .

بدورى أقتبس منه ما يلى عن سورة نون ، والحواميم ، وهو اتجاه آخر
أشبه ما يكون بالاتجاه الرمزى ، وهو مختلف تماماً عن الاتجاه العددى
سالف الذكر عند الأستاذ العظيم عبد الله يوسف على :

(A) it is of important significance to see the sura starting with the letter Nun and ending with mentioning of Dhinun .

The arabic important dictionaries identify this letter as a name for the whale or fish, a sign of infancy in a babies cheek and an edge of a sharp sword (Page : 3) .



ومن هنا ندرك السر في اختيار حرف المجامىء ن ، للقسم والاستفتاح به
هذه السورة وذلك لما له من الدلالات الأربع ..

اما عن الحواميم فها كذا :

(B) The surahs .

(1) Numbered 40 Named qafir 85 . VS

(2) - 41 - Fusslat 54 . VS

(3) - 42 - Al - shura 53 . VS

(4) - 43 - Al - zukhruf 89 . VS

(5) - 44 - Al - Dukhan 59 . VS

(6) - 45 - Al - Jathiyah 37 . VS

(7) - 46 - Al - ohqaf 35 .

are sixteen Continuous suras each is opened by :

HA — which means the woman whose tongue is sharp .

— a driving Sound to the Camels .

— a Calling sound to the sheep .

Mim — raise example from surat Luqmah (page : 6)

وبعد : فهذا ما كتب قديماً وحديثاً من فوائع السور في حماولات جادة
لاستكانة ما وراء هذه السكونـز من الرموز ، وأنا هنا لا يسعـنـي أمام هذه
وذلك من المحاولات إلا أن أقف خائـضاً أمام هذه الفوائـح ، التي بها أرجو
الله أن يهـبـنـا مفـايـحـاً لـذـيـنـةـ ، لـذـكـونـ فـوـائـحـ خـيـرـ وـبـرـكـةـ الـمـسـلـمـينـ كـافـةـ حتىـ
يـعـمـلـواـ بـهـافـيـ كـنـابـ اللهـ ، وـلـيـسـتـيـنـ لـغـهـ الـمـسـلـمـينـ الـمـعـاذـيـنـ أـنـهـ الحـقـ .

وإلى أن يحيـنـ ذلك الحـينـ ، ويـهـبـنـا اللهـ هـذـهـ المـفـايـحـ ، فإـنـيـ لاـ أـمـلـكـ
إـلـاـ أـقـولـ وـقـوـلـهـ الحـقـ : (..... وـمـاـ يـعـلـمـ تـأـوـيلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـالـرـاسـخـونـ فـيـ
الـعـلـمـ يـقـولـونـ آـمـنـاـ بـهـ كـلـ مـنـ هـنـدـ رـبـنـاـ وـمـاـ يـذـكـرـ إـلـاـ أـوـلـوـ الـأـلـبـابـ) .

ثبت لأهم مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- تفسير الإمام الطبرى .
- ٢ - تفسير فضيلة الشيخ شلقوت .
- ٤ - كتاب موجز البيان في مباحث القرآن - كمال الدين الطائي .
- ٥ - النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى - الدكتور ذكى مبارك .
- ٦ - المدخل إلى دراسة القرآن الكريم - المستشرق بلاشبهر .
- ٧ - الفتوحات المسکية - حمدى الدين بن عربى .
- ٨ - دوريات (أخبار اليوم) .

(9) The Holy Quran by .

Abdullah Yusuf Ali .

Dar Al Arabia Beirut .

(10) Memento de grammaire - Francaise .

Septiém édition, Librairie Payot Lausanne 1971 .

